العدد ٢٢/٢٠٠٢

الأحد ٢ حزيران

أحد السامرية

القديس نيكيفوروس المعترف

اللحن الرابع

إنجيل السَحَر السابع

الرسالة

(أعمال الرسل ١١:١٩–٣٠)

في تِلكَ الأيامِ لمَّا تبدَّدَ الرسلُ من أجلِ الضيقِ الذي حصلَ بسببِ استِفانُسَ اجتازوا إلى فينيقيةَ وقُبرُسَ وإنطاكيةَ وهم لا يكلِّمونَ أحدًا بالكلِمَةِ إلاَّ اليهودَ فقط* ولكنَّ قومًا منهم كانوا قُبرُسيين وقَيْروانيين. فهؤلاءِ لمَّا دخلوا إنطاكيةَ أخذوا يُكلِّمونَ اليونانيينَ مُبشِّرينَ بالربِ يسوع*وكانت يدُ الربِّ معهم. فآمنَ عددٌ كثيرٌ ورَجَعوا إلى الرب*فبلغ خبرُ ذلك إلى آذانِ الكنيسةِ التي بأورشليمَ فأرسلوا برنابا لكي يجتازَ إلى إنطاكية* فلمَّا أقبلَ ورأى نعمةَ الله فَرِحَ ووعظهم كُلَّهم بأنْ يثبُتوا في الربِّ بعزيمةِ القلب* لأنَّه كانَ رجلاً صالحًا مُمتلِئًا من الروحِ القدُسِ والإيمان.وانضمَّ إلى الربِّ جمعٌ كثيرٌ* ثمَّ خرَجَ برنابا إلى طرسوسَ في طَلبِ شاوُل. ولمَّا وجَدَهُ أتى به إلى إنطاكية* وتَردَّدا معًا سنةً كاملةً في هذه الكنيسة وعلَّما جمعًا كثيرًا ودُعيَ التلاميذُ مسيحيين في إنطاكية أولاً*وفي تلكَ الأيامِ انحدرَ من أورَشليمَ أنبياءُ إلى إنطاكية* فقامَ واحدٌ منهم

السامرية

يتمحور الأحد الرابع بعد الفصح، بترانيمه وإنجيل قداسه، حول الحوار اللافت الذي جرى بين الرب يسوع وامرأة سامرية قرب بئر يعقوب. قد يتساءل المرء في البدء عن سبب تخصيص هذا الأحد لحدث إنجيلي لا يمت إلى القيامة بصلة، ولو غير مباشرة، لا سيما بعد أحدي توما وحاملات الطيب. خلفية هذا التخصيص لاهوتية تعليمية، وتندرج في إطار جهاد الكنيسة المقدّسة لبنيان أبنائها «إلى قياس قامة ملء المسيح» (أف ٤:١٣)، عبر مراحل عمل الله الخلاصي ومحطاته.

ففي يوم الأربعاء «نصف الخمسين» الذي يسبق أحد السامرية،تبدأ التهيئة لاقتبال الروح القدس يوم العنصرة. وفي هذا اليوم، يقول الرب يسوع لسامعيه «من كان عطشانًا فليأتِ إلي ويشرب» مشيرًا إلى ماء الحياة الأبدية ومصدرها الوحيد يسوع. هكذا يمشي بنا إنجيل «نصف الخمسين» إلى بئر يعقوب، حيث يكشف لنا نص السامرية حقيقة الماء الحي ومصدره ومفاعيله.

يسوع تعب من السفر، وأسفاره إلينا ما انفكت يومًا تتعبه بسبب معاصينا (إش٥٣:٥)، فتوقف ليستريح في أرض السامريين العدائية، والوقت قرابة الظهر أي في احتدام حر النهار. بعض الشارحين رأى علاقة بين هذه القصة ومأساة الصليب، ففي الإثنتين تعبٌ وعطشٌ وحرُّ الظهيرة، وفي الإثنتين كان يسوع وحده. أنّى يكن الأمر، فمعالم المسيح الفادي جلية عبر إنجيل اليوم. المسيح أتى من علياء مجده لملاقاة الخروف الضال في أرض وزمان يحكمهما الشرير، والمسيح وحده يقتحم الشر لأن لا مخلّص سواه.

ما أن أتت السامرية إلى البئر حتى بادرها الرب يسوع طالبًا أن يشرب، علّه يكسر كل حاجز قائم بين الإنسان والإنسان، وسوف يكشف لنا فيما بعد أنه أتى ليكسر الحواجز بين الله والإنسان. وجوده وحيدًا عند البئر يلفت الإنتباه، لأنه ليس معقولاً أن يذهب التلاميذ كلّهم لابتياع الطعام، ويتركوا الرب وحيدًا في أرض غريبة. من المرجّح إذًا أن يكون الرب قد اختار بمشيئته أن يبقى وحيدًا، ليكون لقاء المخلّص بخروفه الضال شخصيًا.

ردة فعل السامرية كانت التعجّب (البديهي)، مستذكرة الحواجز التي أقامها البشر. فهو رجل وهي امرأة، هو يهودي وهي سامرية. بعض المفسّرين يرى في ردة فعلها أنها شعرت، ولو في لاوعيها، بقداسة محدّثها فاستُنفرت قوى الخطيئة فيها لتجادل محدّثها. في الجهاد الروحي هذا أمر مألوف. فكلما دنا المسيح منا، ثارت فينا الأهواء وانتفضت، بالقوة حيناً وبالحيلة أحياناً. لكن يسوع الذي لا يهادن في الخلاص، ينقل بجوابه الحوار من المستوى الأرضي إلى المستوى السماوي: لو كنتِ تعلمين من أنا لأشتهيتِ خلاصي. «لو كنت تعلمين» لا تفيد هنا التمني، بل تنبيه ذهن السامرية لتحسن الرؤية، وحثها على أن تلتمس منه العطاء. في جوابه هذا ينبهها يسوع أن لا تتعثر بمنظره كما تراه، متعبًا عطشانًا وسائلاً، بل أن تتهيأ لمعاينة الفادي الإلهي الذي أخلى ذاته لخلاص من أحبَّهم منذ الأزل. هذا التهيؤ يخاطب كل نفس بشرية في كل زمان، لأنه هو الأساس الذي عليه تنشأ العلاقة القوية بين الله والإنسان.

تجدر الإشارة إلى أن مفهوم الماء الحي كان يعني في العهد القديم مجرد مياه جارية. ولكنه في العهد الجديد صار يعني الماء الذي بدونه تموت الروح، وهو الماء الذي ينشده صاحب المزامير قائلاً «عَطِشَتْ إليكَ نفسي» (مز٦٣:١)، وهذا ما يعطيه المسيح للمقرّين بعطشهم الروحي. وبالعودة قليلاً إلى الوراء، نرى في إنجيل يوحنا أن الماء في تعاليم المسيح عنصر أساسي للتحوّل من القديم إلى الجديد. في قانا الماء استحال خمرًا، ومع نيقوديموس يولد الإنسان جديدًا بالماء والروح، وماء المعمودية، بالروح النازل عليه، يحوّل من الموت إلى الحياة الأبدية. المسيح يعتلن هنا كينبوع ماء الحياة في أجلى بيان، وتحوّل السامرية في آخر القصة من الخطيئة إلى الإيمان والكرازة خير دليل.

لا شك أن يسوع نجح في خرق متاريس الخطيئة في نفس محدّثته. فعرضه لها،وإن كان أسمى من العقل البشري، سخي للغاية ولا يسعها أن تردّه. الآن انتقلت في مخاطبتها إياه من «أنت يهودي» إلى «يا سيد». نفسها بدأت تنفتح،وإن كانت بعد في الشك وعدم الفهم. عمق البئر وغياب الدلو ما زالا بالنسبة إليها صعوبات لا تذلَّل، وإن كانت بدأت تحاول أن تفهم.هذه هي حال كل نفس جرّحتها الخطايا. حال الخطيئة مهما عظمت لا تنزع من الإنسان توقه الداخلي إلى الخلاص.

في المقارنة بين «هذا الماء» و«الماء الذي أعطيه أنا»، يدل المسيح على ذاته ليقول لسامعه أن من يقبل إعلان المسيح ويتعرّف عليه، يصبح منتميًا إلى السماويات، ولا تعود الأرضيات موضع عطشه أو حتى اهتمامه. قول يسوع هذا للسامرية يتردد صداه في كل نفس جرّحتها الشهوات الضارة، وأنهكها الجري وراء ملذات ليست سوى سراب، لن يؤول في الأخير إلا لليأس وخيبات الأمل. بيد أن الماء المُعطى للعطشانين مجانًا (رؤ٢١:٦)، والذي هو نعمة إستعلان المسيح للنفس بالروح القدس، يملأ الإنسان من بهجة الخلاص في الحاضر ويمتد به من مجد إلى مجد إلى أبد الآبدين. هكذا يصبح من شرب من ينبوع الخلاص، هو بذاته ينبوع خلاص يجلب كثيرين.

ها السامرية الآن تُبدي أولى علامات العودة.«أعطني من هذا الماء لكي لا أعطش». النفس الخاطئة التي

اسمُهُ أغابوسُ فأنبأَ بالروحِ أن ستكونَ مجاعةٌ عظيمةٌ على جميعِ المسكونة. وقد وقعَ ذلكَ في أيامِ كلوديوسَ قيصر*فحتَمَ التلاميذُ بحسَبِ ما يَتيسَّرُ لكلٍّ واحدٍ منهم أن يُرسلوا خِدمةً إلى الإخوةِ الساكِنينَ في أورشليم* ففعلوا ذلكَ وبعثوا إلى الشيوخِ على أيدي برنابا وشاولَ.

الإنجيل

(يوحنا ٤:٥-٣٩)

في ذلكَ الزمانِ أتى يسوعُ إلى مدينةٍ مِنَ السامرةِ يُقالُ لها سوخارُ بقربِ الضيعةِ التي أعطاها يعقوبُ ليوسُفَ ابنِهِ* وكانَ هناكَ عينُ يعقوب. وكانَ يسوعُ قد تعِبَ مِنَ المسير.فجلس على العينِ وكان نحوُ الساعةِ السادسة* فجاءَتِ امرأةٌ مِنَ السامرةِ لِتستقيَ ماءً. فقالَ لها يسوعُ أَعطيني لأشرَبَ* (فإنَّ تلاميذَهُ كانوا قد مضوا إلى المدينة ليبتاعوا طعامًا)* فقالَتْ لهُ المرأةُ السامِريَّةُ كيفَ تطلبُ أن تشرَبَ منّي وأنتَ يَهوديٌّ وأنا امرأةٌ سامريةٌ واليهودُ لا يخالِطونَ السامريّين* أجاب يسوعُ وقال لها لو عرَفتِ عطيَّةَ اللهِ ومَن الذي قال لكِ أعْطيني لأشربَ لطَلَبْتِ أنتِ منهُ فأعطاكِ ماءً حيًّا* قالت لهُ المرأةُ يا سيّدُ إنَّهُ ليس معكَ ما تستقي به والبئرُ عميقةٌ* فمِنْ أين لك الماءُ الحيُّ* ألعلّكَ أنت أعظم من أبينا يعقوبَ الذي أعطانا البئرَ ومنها شربَ هو وبنوهُ وماشيتُهُ*أجاب يسوعُ وقال لها كلُّ من يشربُ من هذا

الماءِ يعطش أيضًا. وأمَّا من يشربُ مِنَ الماءِ الذي أنا أُعطيه لهُ فلن يعطَش إلى الأبد*بل الماءُ الذي أُعطيه لهُ يصيرُ فيهِ ينبوعَ ماءٍ ينبُعُ إلى حياةٍ أبديَّة*فقالت لهُ المرأةُ يا سيّدُ أعطني هذا الماءَ لكي لا أعطشَ ولا أجيءَ إلى ههنا لأستقي* فقال لها يسوعُ اذهبي وادعي رَجُلكِ وهلمّي إلى ههنا* أجابتِ المرأةُ وقالت إنَّهُ لا رجلَ لي. فقالَ لها يسوعُ قد أحسَنْتِ بقولكِ إنَّهُ لا رَجُلَ لي* فإنَّهُ كان لكِ خمسةُ رجالٍ والذي معك الآنَ ليس رجُلَكِ. هذا قلتهِ بالصِدق*قالت لهُ المرأةُ يا سيّدُ أرى أنَّكَ نبيٌّ* آباؤنا سجدوا في هذا الجبل. وأنتم تقولون إنَّ المكانَ الذي ينبغي أن يُسجَدَ فيهِ هو في أورشليم* قال لها يسوعُ يا امرأةُ صَدِّقيني إنَّها تأتي ساعةٌ لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون فيها للآب* أنتم تسجدون لما لا تعلَمون ونحن نسجُدُ لما نعلَم. لأنَّ الخلاصَ هو مِنَ اليهود* ولكنْ تأتي ساعةٌ وهي الآنَ حاضِرةٌ إذ الساجدون الحقيقيُّون يسجُدونَ للآبِ بالروح والحقِّ. لأنَّ الآبَ إنَّما يطلُبُ الساجدينَ لهُ مثلَ هؤلاءِ*اللهُ روحٌ. والذينَ يسجُدونَ لهُ فبالروح والحقِّ ينبغي أن يسجُدوا* قالت لهُ المرأةُ قد علِمتُ أنَّ مَسِيًّا الذي يُقالُ له المسيحُ يأتي. فمتى جاءَ ذاك فهو يُخبرُنا بكلِّ شيءٍ* فقال لها يسوعُ أنا المتكلِّمُ معكِ هو* وعند ذلك جاءَ تلاميذُهُ فتعجَّبوا أنَّهُ يتكلَّمُ مع امرأةٍ.

مسّتها إصبع الرب تعي سقمها وتترجاه أن يخلّصها. مرة جديدة ينقل يسوع الحوار من مستوى إلى مستوى، من العموميات إلى الخصوصيات: «اذهبي وادعي زوجك...». يسوع الذي بمشيئته هيأ هذا اللقاء، يعرف ما في قلب السامرية.فهو يضع إصبعه في الوقت المناسب على الخطيئة الشخصية، تمهيدًا لمحاصرتها والقضاء عليها. الإنشغال بفهم السماويات لا يجدي نفعًا لمن لم يتطهّر بالإعتراف والتوبة، فالله لا مكان له في قلب يسكنه الشرير. رقّة السيد في تشخيص الداء شجّعت المرأة على الإقرار، وإن بشيء من الحزن، وهو حزن التائبين المغبوط. رقّة المسيح تجلت أيضًا بقبوله اعتراف السامرية أحسن قبول: «حسنًا قلتِ»، وهو الذي «يغيث المعيي بكلمةٍ» (إش ٥٠:٤).

ما أن أفرغت المرأة خطيئتها حتى استضاءت عيناها لتعاين حقيقة المسيح، ولو في غير اكتمالها. هذه أولى مفاعيل عطية الماء الحي في أعماقها، وأولى بوادر الإيمان الحقيقي في قلبها. ثمار الخلاص في هذه النفس الخاطئة بدأت تظهر على الفور. التي كانت تعيش في الحرام المستمر تسائل الرب الآن عن المكان الحقيقي للصلاة المقبولة، والصلاة إلى الإله الحق صارت همّها، ينقلها المسيح إلى بشارة العهد الجديد، عهد صليب المسيح الذي ألغى المذابح والهياكل لما صار هو ذبيحة الخلاص الوحيدة في هيكل الله أبي الجميع.

الكنيسة تتلو علينا اليوم هذا الإنجيل، علنا متى تهيأنا لقبول ماء الحياة وعنصرة الروح القدس، نكون ساجدين حقيقيين نسجد للآب بالروح والحق، «لأن الآب طالب مثل هؤلاء الساجدين له». الذين يقتبلون ماء الحياة اليوم، «لن يجوعوا بعد ولن يعطشوا بعد... لأن الخروف الذي في وسط العرش يرعاهم ويقتادهم إلى ينابيع ماءٍ حية» (رؤ ٧:١٦).

الكنيسة جسد المسيح

«حيث تكون الكنيسة يكون روح الله، وحيث يكون روح الله تكون الكنيسة ويكون ملء النعمة» (القديس إيريناوس أسقف ليون).

ما يدعونا للكتابة عن الكنيسة هو ظهور بعض البدع والطوائف التي تُبشِّر بـ«مسيحية بدون كنيسة»، وتشدد على أن المسيح هو الذي يخلّص وليس الكنيسة، وما نحتاجه فقط هو المسيح.

نوافق معهم ان المسيح هو الذي يخلّص ولكننا لا نتناسى،كما يفعلون هم،أن الكنيسة هي الجسد الذي أسَّسه الرب يسوع والذي يحيا ويفعل بالروح القدس، هذا الروح الذي أرسله الرب يسوع بمجد على تلاميذه في العنصرة، وهو موجود ويعمل في الكنيسة منذ ذاك الوقت قائدًا إيّاها في مسيرتها نحو الملكوت. هي الكيان الذي أوجده الرب ليعمل من خلاله لتقديس البشر.

الكنيسة: جسد المسيح: رغم ان الكنيسة وُجدت قبل كتابة أسفار العهد الجديد، إلا أننا لا نجد في هذه الأسفار تعريفًا للكنيسة ذا صفة عقائدية. هذا ربما لأنه لا يمكن تعريف ما هو واضح بذاته، ولا يمكننا تعريف الكنيسة بالإنفصال عن فحوى حياتها.إنها جسد المسيح، ليس لأنها شيء مستقل وذو كيان خاص، بل لأنها تشترك في كيان الكلمة المتجسد الذي يبقى فيها بالروح القدس والأسرار والدرجات الكهنوتية. الكنيسة جسد وخلية حية.

يقول الكاتب جورج فلورفسكي ان «الكنيسة هي جسد المسيح وليست مجرد «جسد من بشر».الكنيسة هي في المسيح كما المسيح هو في الكنيسة. ليست الكنيسة مجرد جماعة المؤمنين بالمسيح والذين يعملون بحسب وصاياه. إنها جماعة المؤمنين المستقرين في المسيح، وهو مستقر فيهم بالروح القدس».

وردت كلمة كنيسة (Ecclesia باليونانية) للمرة الأولى في العهد الجديد في إنجيل الرسول متى عندما قال الرب لبطرس ردًا على اعترافه به ابناً لله: «أنت بطرس وعلى هذه الصخرة أبني كنيستي وأبواب الجحيم لن تقوى عليها» (متى١٦: ١٨). يشرح كتاب أعمال الرسل معنى ما قاله الرب يسوع في إنجيل متى: فبعد عظة الرسول بطرس في يوم العنصرة سأل السامعون بطرس ماذا يفعلون ليخلصوا، «فقال لهم بطرس توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس» (٢:٣٨)، «وانضمَّ في ذلكَ اليومِ نحو ثلاثةِ آلافِ نفس» (٢:٤١). بعدها ابتدأ هؤلاء يتصرفون كأعضاء لجسد واحد، يكسرون الخبز معًا ويصلّون بنفس واحدة وكل شيء عندهم كان مشتركًا (٢:٤٢-٤٧)، و«كان الرَّبُّ كلَّ يوم يضُمُّ إلى الكنيسةِ الذين يخلُصونَ» (٢:٤٧).

الكنيسة المسيحية إذًا هي تلك الجماعة المدعوة من الله بالمسيح لتأدية مهمة معينة، هي ان تعمل إرادته في هذا العالم وفي الملكوت: إنها كنيسة الله في المسيح.

في العهد القديم، كانت خاصية شعب الله مختومة بدم الحيوانات التي تقدَّم إلى الهيكل، أما في العهد الجديد فهذه الخاصية خُتمت بدم ابن الله الوحيد، وصارت الكنيسة تُعرف بجسد المسيح، والمسيح رأسها.

ترد عدة صور للكنيسة في الكتاب المقدس. فالمسيحيون هم «جسدٌ واحدٌ في المسيح»(رو١٢:٥)؛ والجسد هو الكنيسة (كو ١:١٨) والكنيسة هي جسد المسيح (١كور١٠) وعروس المسيح (أف٥،رؤ٢١). أما أعضاء هذا الجسد فهم كل الذين اعتمدوا على اسم الرب يسوع: «لأنَّهُ كما أنَّ الجسدَ هو واحدٌ ولهُ أعضاءٌ كثيرةٌ وكلُّ أعضاءِ الجسدِ الواحدِ إذا كانت كثيرةً هي جسدٌ واحدٌ، كذلك المسيحُ أيضًا لأننا جميعَنا بروحٍ واحدٍ أيضًا اعتمدنا إلى جسدٍ واحدٍ، يهودًا كنَّا أم يونانيين، عبيدًا أم أحرارًا، وجميعُنا سُقينا روحًا واحدًا» (١كور ١٢: ١٢-١٣). الكنيسة هي «ملء الذي يملأ الكُلَّ في الكلِّ» (أف ١:٢٣).الكنيسة هي «أعضاءُ جسمه من لحمه ومن عظامه» (أف٥:٣٠).هو الكرمة ونحن الأغصان (يو١٥: ١-٨). هو رأس الجسد (أف٥) ونحن أعضاء هذا الجسد (١كو١٢:٢٧)، والكنيسة تستمد حياتها منه وليس العكس.

العلاقة بين الرب يسوع وأعضاء جسده، كما بين أعضاء الجسد الواحد، تظهر بأجلى بيان في الاجتماع الإفخارستي،حيث هذا الجسد المؤلف من أعضاء كثيرين يصيرون واحدًا في المسيح: «...كأسُ البركةِ التي نباركها أليستْ هي شركةَ دمِ المسيح. الخبزُ الذي نكسره أليس هو شركةَ جسدِ المسيح. فإنّنا نحنُ الكثيرين خبزٌ واحدٌ، جسدٌ واحدٌ، لأننا جميعنا نشترك في الخبز الواحد» (١كور ١٠: ١٦ و١٧).

الانفصال عن الكنيسة بحسب تعبير القديس يوحنا الذهبي الفم يعني أن يفقد الإنسان حياته، لأنه لن يستطيع الاشتراك في الخبز الواحد والكأس الواحدة، في جسد المسيح ودمه. الكنيسة هي امتداد تجسد المسيح في التاريخ، ونحن ضمن هذا الجسد نحيا ونتحرك ونجد كياننا. { {

ولكنْ لم يقلْ أحدٌ ماذا تطلبُ أو لماذا تتكلَّمُ معها* فتركَتِ المرأةُ جرَّتها ومضتْ إلى المدينةِ وقالتْ للناسِ* تعالَوا انظُروا إنسانًا قال لي كلَّ ما فعلتُ. ألعلَّ هذا هو المسيح*فخرجوا من المدينةِ وأقبلوا نحوهُ*وفي أثناءِ ذلكَ سألهُ تلاميذهُ قائلينَ يا معلّمُ كُلْ* فقال لهم إنَّ لي طعامًا لآكُلَ لستم تعرفونهُ أنتم* فقال التلاميذُ فيما بينهم ألعَلَّ أحدًا جاءَهُ بما يأكُلُ* فقال لهم يسوعُ إنَّ طعامي أنْ أعملَ مشيئةَ الذي أرسَلني وأُتمِّمَ عملَهُ* ألستم تقولون أنتم إنَّه يكونُ أربعةُ أشهرٍ ثمَّ يأتي الحصادُ. وها أنا أقولُ لكم ارفعوا عيونَكم وانظروا إلى المزارعِ إنَّها قد ابيضَّتْ للحصادِ* والذي يحصدُ يأخُذُ أُجْرةً ويَجْمَعُ ثمرًا لحياةٍ أبديَّة لكي يفرحَ الزارعُ والحاصِدُ معًا* ففي هذا يَصْدُقُ القولُ إنَّ واحدًا يزرَعُ وآخرَ يحصِدُ* إنّي أرسلتكم لتحصِدوا ما لم تتعبَوا أنتم فيهِ. فإنَّ آخرينَ تعِبوا وأنتم دخلتم على تعبِهم* فآمنَ بهِ من تلكَ المدينةِ كثيرون من السامريين من أجل كلامِ المرأةِ التي كانت تشهَدُ أنْ قد قال لي كلَّ ما فعلتُ* ولمَّا أتى إليهِ السامريُّون سألوهُ أن يُقيمَ عندَهم. فمكثَ هناك يَوْمَيْنِ* فآمنَ جمعٌ أكثرَ من أولئكَ جدًّا من أجل كلامه* وكانوا يقولون للمرأةِ لسنا من أجل كلامِكِ نؤمنُ الآنَ. لأنَّا نحنُ قد سمِعنا ونعلَمُ أنَّ هذا هو بالحقيقةِ المسيحُ مخلّص العالَم.